قصص قصيرة

يمرّ على روحي كدهر

....

إيمان الزيات



إهداء ٢٠١٦

دار حسناء

جمهورية مصر العربية

يَمرُّ على رُوحي كدهر

ديوى : 813
الزيات ، إيمان
يمر على روحى كدهر / إيمان الزيات
الإسكندرية : حسناء للنشر
ط1 / 2016
100 ص ، 20 سم
تدمك : 978-977-6535-20-6
قصص
التوابع
أحمد محمد زويل
رقم الإيداع : 1799 / 2016



الإسكندرية ، ج . م . ع
01018831361
01022842898

المدير العام : عادل أبو الأنوار

المراجعة اللغوية : أحمد حسنى
الإخراج الفنى : أمير مصطفى

يَمرُّ على رُوحي كدهر

مجموعة قصصية

إيمان الزيات



إهداء

إلى روح أبي.. التي ذهبت لتحضر النصر ثم اختصـــرت الطريـــق إلى الجنة ..

إلى أمي .. تلك السيدة الأسطورية ..

إلى ابنتي .. النور الذى به أهتدي ..

إليه .. ذلك الذي انبعث من ذاتي وفي حياتى تجسد بشراً سوياً ..

إلى كل الحالمين الذين تعثروا ثم قاموا ..

إليكم جميعاً أهدي روحى وفكرى وقلبي ..

إيمان الزيات

أين؟

لا أذكر أنى أحببت قصة "بينوكيو" .. ولا وجدت له حتى سبباً منطقياً لكذباته المتكررة بلا طائل .. ربما ظل يكذب لفترة طويلة لأن شيئاً خشبياً كان لايزال بداخله .. و لم يتوقف عن الكذب إلا عندما تغلبت حقيقة رحيل من يحبه بحق وخذلانه وصدمته فيه ..

فانحسرت خشبيته قليلاً حين بدأ يشعر بذلك الشرخ الذى ابتدعه فى روح من صنعه بيديه الآملتين فى الحلم .. حتى وإن كان حلماً أحمقَ فى أن يشعر بك الجماد ويمنحك شعوراً مفتقداً وغائباً عنك ..

فى البداية تنتظر المقابل ثم تحبه فتقرر أن تمنحه دون مقابل .. ثم لا ترغب سوى بأن تراه بخير .. وكأنها باتت قضيتك الملحة والأهم فى الحياة..

فقط أن يكون بخير لذاته وليس لصانعه الذى لا يعلم ماذا سيفعل إذا قرر هو الرحيل وممارسة الجحود..

موجع هو الخذلان حين يقابلنا عند إشارات المرور وفى المنعطفات والطرق الخاوية وفى وجوه من نحبهم ..

وماهر هو الكذب حين يطغى .. فيصنع انكساراً فى الثقة .. وشروخاً فى الروح .. وتشققاً لا يتوقف إلا عندما يشطرنا نصفين متباعدين للأبد ..

حقيقة واحدة كفيلة بمحو كل الاكاذيب الحائمة حولنا .. ولكن السؤال ..

أين تقبع تلك الحقيقة؟!!

يحوم في سديم

أيها الرجال الجليليون، ما بالكم واقفون تنظرون الى السماء؟
وقار ثباتكم هذا ليس يُجدى؛ تحركوا لتتنزل عليكم البركات.

***

(1)

هل اخبرتك من قبل يا "آسر" أنني أكره المشاعر الساكنة!! وأني لا أستسيغ فكرة أن يُبقِي كلاً منا طاقته كامنة بداخله فيتحول لوعاء أصم تتساوى فيه شحناته السالبة مع الموجبة ويعيش بطريقة مسالمة وآمنة كمن يعيش دينونة لا تنقضي، أن يصبح كل واحد فينا عنصراً عادياً ومستقراً تماماً كحجرٍ يحوم في سديم!!

كان لابد لى أن أطلق تلك الطاقات الكامنة بداخلك أن أدفعك للانشطار فنواتك التي احتملت الكثير كانت فى حاجة ملحّة لأن يضعف أى جزء من قشرتها حتى تفرغ مالديها من طاقة خرساء مكبوتة، كنت تظنها أنت محض عِبءٍ وأراها أنا وسيلة انبعاث، فاتخذت قرارى أن أكون أنا في حياتك تلك النقطة الأضعف.

كي تنفجر فى وجه العالم مطلقاً جميع طاقاتك معبراً عن ذاتك بألم أو بندم أو حتى بانتقام .. بأي طريقة مغايرة وممكنة تشعرك بالراحة .. واعلم أن هذا كان مؤلماً لك في ظاهره ولكن صدقني تلك كانت وسيلتي الوحيدة وما نعانيه الآن سوياً هو ضريبة عالية لشيء يتسم بالسمو؛ فلن يعرف أياً منا ذاته بعد الآن وسنتحول لعناصر أخرى في كون ظنناه بالأمس قد انتهى .. لصلبنا في كل يوم على أبواب

صباحاته تلك التى نصبح فيها لا لشىء جديد سوى لنتكرر أمامه شخوصاً مملة وفارغة.

أردت أن يترع كل منا تلك الرُقاقة اللعينة التى زرعتها العادة فينا ونشّطها المنطق والمقبول فى أدمغتنا .. والتى تبث بداخلنا رسائلها المكررة اللعينة فنعيش بحقيقة زائفة مفادها أننا بخير، وأن كل ما علينا أن نكون نسخاً رديئة لأصل معدوم.

إنه الميلاد .. ومانمر به الآن محض مخاض سيزول قريباً .. أنت من أردت أن تحيا عشقاً مختلفاً وغير مكرر وأنا دعمت اختياراتك بمشاركتى إياك لتلكِ الرغبة المحمومة .. حتى وقت قريب كان كل شىء يبدو على مايرام .. والآن بالفعل كل شىء تغير.

أفهم هذا وأريدك أنت أيضاً أن تفهمه .. الفرق بينى وبينك أنك تستطيع أن تشكو ولا تتقبل فكرة التغيير أما أنا فلست أملك تلك المهارة .. كطفل مفرط الطاقة لا أستطيع الثبوت على وضعية واحدة فى كون لا يكف عن الحركة.

مهارتى الوحيدة أنى أستطيع تحمل الألم .. كونى أنثى كفل لى ذلك .. سل تجاربى الفائتة التى وشمتنى بالجَلَد حتى تفهم ما أخبرك به؛ لأنك حتى الآن لا تعرفنى حق المعرفة.

علمتنى الحياة ألا أهب الجاحدين أفكارى كلها .. تأكد أنى قد أبقيت لنفسى الأفضل منها فلا تأسَ علىَّ .. فلا أحد يستحق أن تُبعث من أجله برأس مجوفة دون عقل من شدة التفكير.

أليست قمة الجحود أن نهب العالم أفكارنا ثم نستيقظ لنجدهم قد قطعوا لكل منا رأسه على سبيل الفضول فقط ليعلموا كيف تعمل تلك الأدمغة؟!!

إن هذا ما حدث معي تماماً لذلك أريدك أن تتجدد وأريد أنا أن أستعيد رأسي المقطوع ؛ لأحصل على ما خبأته فيه من أفكار مُنْجية .. فساعدني أيها "الرفيق".

إنها عملية مزدوجة لا يستطيع أيا منا إنجازها دون مساعدة الآخر.

***

(2)

هل تعلم معنى أن تبني حياتك على افتراضات جدلية لا تضمن حدوث أياً منها بشكل مؤكد وواضح .. أن تعيش مع من تحب على نظرية الاحتمالات .. وتعامل العقلانيين بمنطق الخيال؟

إنها عملية تعذيبية بحتة وموت بطيء لأمثال هؤلاء القاطعين ذوي القرارات النهائية .. والمعتزين بعقولهم وأنفسهم.

أنا أكره كثيراً تلك الورطة التي تيسر عليك سبل الدخول وسرعان ما تغلق دائرة الظروف التي تستخدم على رقبتك؛ فلا تكون صاحب قرارك وتسلبك حرية الرغبة في شيء آخر غير المتاح.

حاولت الانسحاب من حياتك مرات كثيرة سابقة ولكنني عدت في كل مرة بإرادتي وأعترف أنه كان غباءً مني أن أفعل الشيء نفسه مرات عدة بنفس الأسلوب ونفس الخطوات مع انتظار نتائج مختلفة.

نعمْ فى كل مرة كنت أعود سريعاً .. لكننى يا "آسر" كنت أقف على جمر لا ينطفيء منغرسة فى أحشائى جراب كل الأشياء التى تأخذك منى وأنت تدّعى العكس ولكن بنظرة واحدة على الأمور لعابر حتى كان سيدرك أنك مأخوذ منى تماما نحو البعيد وسيعرف أنك كنت تكابر فى الاعتراف بذلك.

لن تفهم أبداً ما كنت أعانيه مادمنا نقف في بعدين مختلفين فمفهوم الزمن ساعتها لن يكون واحداً سيمر عليك الأمر بسرعة البرق في حين أنه يمر على روحى كدهر.

إنه لشيء مُعَذِّبٌ حقاً أن يضطرك عقلك لاتخاذ قرارات تخالف مشاعرك ويدعمه ضميرك فيقف القلب بصوته الوحيد الذى لا قيمة له أمام أصوات الأغلبية ويرضخ معلناً امتناعه عن الطعام في محبسه خلف الضلوع فلن يقتات بالحب بعد اليوم .. وتضطر لأن تشيح بنظرك عنه دون تعليق فأنت لست في حاجة لإشعال ثورة داخل ذاتك ستكون فيها خاسراً أمام حجج عقلك القوية وتصميم ضميرك المشحوذ.

اعلم أن وجهة نظرك للأمر تختلف عن وجهتى ولكن هل نتشارك بالفعل كل وجهات النظر كما كنا ندعى؟ .. ربما نتشارك حبنا للأشياء ولكن كان كل منا ينظر لنفس الشيء بمنظور مختلف.

ذات صباح كنت أقول لك أن "بوسى" قطة جميلة وأنها تحبك .. تمر من بين أقدامك حين تدخل مكتبك متوددة .. ماسحة جل جسدها فيك كى تشعر بها .. فترد نافياً كلامى بأنها قطة تبيع نفسها لمن

يطعمها تتمسح فى كل الأقدام وتتبع فقط من يوفر لها الطعام وأنـــك لست المعنى بالضرورة بتوددها هذا.

كنت أستمع إليك بحزن شديد فأنت لا تعـــرف معـــنى أن تجـــوع وبداخلك شيء ما يدفعك للبقاء .. لا تعرف معنى أن تغير القطـــط فطرقما التى جُبلت عليها من الدلال والدعة كى تتحمل ذلك البـــاب الحديدي الثقيل الذى تغلقونه كل ليلة عليها وعلى الظلام .. وتلـــك البرودة التى لايتكفل فراؤها بصدها على النحو اللائق .. وجهلـــها بكون الغد عطلة أم أنكم سوف تعودون؟

هل جرب أحدكم أن يتجرع الوحدة والبرودة والظلام دفعة واحدة ليدرك شعورها؟ وهل حاول أيا من رجالات المكان أن يضع معطفه على كتفيه ويترل من دفء بيته كى يطعمها يوم عطلة ثم يرى هـــل ستكون مخلصة له أم لا؟

لماذا تنكر على القطط جوعها بينما يغير البشر جنسياقم كل يوم من أجل المال ويتبجحون بتفاخرهم لكوفم أوروبيين أو أمريكان ؟ بل يغير الناس دياناقم في أفريقيا السوداء ويضعون على صدورهم نجمـــة حماسية لا تضيء من أجل رغيف بلا غموس؟

أنت تعتنق ما تعلمك الحياة إياه من جحود .. وبعـــض الأحيـــان لا ترهق عقلك فى الماورائيات ..

ربما ليس دائماً وربما لأننا كنا سوياً كان الأمر مختلفاً فعلـــى ســـبيل المثال لا أعرف حبيبين قد خرجا في موعد غرامي ويســـتوقفهما فى

الحديقة طريقة عمل رشاشات المياة الخاصة بها فيقفان برهة ليفكـــرا كيف تعمل وكيف تكف عن العمل.
ولا أن يقررا منح وجبتهما الفائضة بعد خروجهما من المطعـــم إلى حارس الجراج المسن ومن أجل هذا يقومان بمغامرة صغيرة ثم يعودان ضاحكين كطفلين.
إننا كنا نتشارك مع الكون بحبنا الذى لم يكن أبداً حلقة مغلقة علينا فحسب.
أعترف أن كل شيء معك كان مختلفاً وأنك قد منحـــتنى المســـاحة والقبول كي أظهر لك بعض نفسى على حقيقتها .. نفسى المغـــايرة التى لم يعرفها أحد غيرك .. جعلتنى أكشف كتفى للشـــمس حـــتى تسطع جواهر ذاتى المتسربلة منذ وُجِدَتْ .. وحميت ظهـــرى مـــن الأعين المتلصصة وأنا أمارس طقوسى بحرية .. فكنت هادئاً بدهشـــة فى التلقي .. وصاخباً بالرغبة في العطاء ..
لكن روحك التى تحمل ندوباً قديمة سرعان ما كانت تعود لســـكونها بين الفينة والأخرى وكأن كل ما أُحدِثه من صخب فى حياتك مجرد حدثاً اعتراضياً فحسب .. كان لديك دوماً ماهو أهم لتنشغل به عن حين يعصف بك الاشتياق من جديد .. لا أريد أن أحـــدثك عـــن مدى السوء الذى يمكن أن يلحق بك حين تجد نفسك واقفاً فى حياة من تحب صفاً ثانياً .. وجلاً بصفة دائمة من أن يمر عليك شـــرطى متسكع فيحرر لك مخالفة أو يسحبك بطول الشارع على وجهـــك

بالمقلوب متعمداً الفضيحة بحجة أنك في غير مكانك .. صدقني إنها غُصّة.

***

(3)

خلاصة مشاعرى يا (آسر) أنى معذبة بك وبدونك ولكن الأمر الفارق الآن حقاً أنى أريد أن أجمع أجزائى الموزعة على الفضاءات المحيطة بك .. والهائمة حولك .. دون جدوى من الالتصاق أو التناثر للأبد .. أريد الحصول على كينونتى أولا .. فأنا لا أعرف لماذا حين أتكلم عنك مازلت أجد ريحك في المكان واستشعرك!!

ارفع يدك عن مخيلتى قليلاً حتى أستطيع تقرير مصيري دون ارتباك أزمة وجودك الهذياني.

امنحني حقي في أن أصبح "أنا" ..

اكتفيت من كوني :. "أنت" ..

نقطة .

يقف في الحياة كمُدافع أخير.. ومن ورائه حارس المرمى مرتعش السيقان من هول تلك الهجمة بعدما فشل مدافعى "خط الوسط" في احتواء الهجمات .. وكأنه أوشك على الوقوع بين أسنان سمكة من أسماك القرش الأبيض .. حركات أقدام مهاجمى الفريق المقابل كالبرق وشهقات الجماهير رعداً هادراً منددداً له - وله وحده - "لأنه أملهم الوحيد في النجاة"

في جزء من الثانية راح يفكر في تدابيرَ قديمةٍ .. قديمة جداً .. يصحح بها أخطاءهم وأخطاء كونه المحيط بأسره .. كم لاعباً يحتاجه "خط الوسط" اللعين هذا ليصبح آمناً!!

تباً لخطة "3-6-1" وتباً لرغبة المدرب الهولندى في التعادل كبقرة تريد الخلاص بكوب لبن وحيد لتنجو من الحلب .. الآن سيعرفون أن وضع ستة لاعبين على خط واحد خطة ليست بالممتازة على الاطلاق بفضل تلك الهجمة.

"ليس هذا ما يجب أن يفكر فيه ..

الآن عليه فقط أن يركز"

ربما لا تصلح مع خطة لعبهم التى جلبها "الخواجة" مهارات موقعه المتعارف عليها والمقروءة حركاتها .. ولكن حتماً ستنفعه سرعة بديهته.

المهاجم يقابله الآن على انفراد .. يضغط على عقله بدبيب ســاقيه اللتين قويتا بالتدريب المتواصل ولا يعرف كيف يسمعها على النجيلة المبتلة!!

يبحث عن فكرة فدائية منقذة .. تتصاعد حول المهــاجم أبخــرة لا يعرف مصدرها تخرج من بينها صورة حبيبته التي فقدها للتو وذلــك البيت الذى سيعود إليه مرغماً بعدها، والذى يُطيِّر البحر رماله الثقيلة إليه ويردم ذكرياته مع حبيبته في كل شتاء من الآن فصاعداً .. لتلك السكينة التي سيفتقدها في بيت أبيه .. ولكوب الزنجبيل الــدافىء .. والرمان المفروط ..

صورة أمه الراحلة تظهر له أيضاً برداء سحابي وهى تدعو الله وترقيه من شر تلك الهجمة وتسد الثغرات أمام الكرة وتعمى خصمه برقوها التي يسمعها وحده:

" وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَــا يُبْصِرُونَ".

يتذكر كلمات جده: "إذا ضاقت عليك الأرض بما رحبت فاتركهــا ومارس الطيران ".

هل صار يتوهم !!

تنكزه أصوات جماهير فريقه نكزة موجعة عندما يتقدم خصمه محتلاً المساحة المتبقية كقطار بخاري مفلتاً من "المسّاك" .. يطيّر دخان توهماته ثم يتحفز بفكرته الألمعية التي ألقيت عليه تواً من السماء ليحول كل هذا إما إلى أكبر "هجمة مرتدة" عرفها التاريخ أو إلى أكبر هزيمة شاهدها فريقه والعالم.

فتح عينيه على آخرهما وألقى بجسده فشهقت جميع الجماهير واشرأبت واقفة على أطراف اندهاشاتها متابعة اتجاه الكرة.

أزيـــز

ساقاه ... الأرض بإهمال ... المقهى ...
حركة ... اللطم وجه القهوة ... أن
يـ... لولا أنه استـ...
و... ذاته منذ ... كالحسة ...
انكماشه ... لم يلتفت ... كأن شيئاً لم يحدث هنا .. فانصرف
مستأ... غائداً إلى "النصبة" وهو يتمتم تمتماته الحانقة علـى
زبائـ... غائبيـ...
... صمت صاحبه الذى ناداه لـ...
... الثلاثة شهور بـالجالس معـه ومبالغتـه ...
... الذى على توليه قطع الطريق علـى ...
... متشرفاً على كرسيه .. مستنداً إلى حائط ... ..
... الذى اتكأ على ركبتي "الآخر" مكشـراً عـن
... الصحبة.
... الإدراك لما يحاولون أن يفعلوه جميعـاً .. أمـل
... إنه لن يتحرك فلو أراد الحركة لفصـل ...
... يب وفقد ما لم يكن من المفترض أن يفقـده ..

فكر لبرهة ثمّ ابتلع مرارة سكنت حلقه فجأة وقفــز فــوق تلــك الكلمات محاولاً التفكير في شيء آخر كــقلمه مثلاً فلم يعد يستطيع الكتابة .. كأُمّيٍّ صار ينظر للأوراق أينما وجدت؛ فلا أفكار لديه .. إذا كتب لن يبدو مقنعاً لأنه كفر بكل شيء وقرر أن يعيش كفره لا أن يكتب عنه فهكذا وهكذا فقط سيكون أميناً وواقعياً ومقنعاً لنفسه على الأقل.

إنه يريد حقيقة واحدة يحرك من أجلها حواسه من جديــد .. حــتى وإن كانت تلك الحقيقة هى هذه "الذبابة" اللحوح التى تقف علــى أنفه الآن وتنظر لعينيه بغباوة مستفزة محركة جناحيها و مصدرة أزيزاً لا يفتر.

نعم إنها حقيقة ولكنها قد اختارت توقيتاً خاطئاً لتقف بين عينيه ..

"بعض الأشياء تلقيها الأقدار فى طريقنا لنكون سبباً في موتهــا علــى الرغم من أننا لا نحمل لها أى ضغينة تُذكر، فقط نحــن مضــطرون لذلك لأنها قد ظهرت فى طريقنا وقررت أن تمارس عبوراً غير آمــن وغير مسموح به بين أرصفة حياتنا"

"كونفوشيوس" يهمس في رأسه:

"أيها الكاتب الذى لا أفكار لديه والمتجرد .. الآن صار لديك فكرة .. أنت تريد أن تقتل تلك "الذبابة" أرى ذلك في عينيــك لا بــأس ولكن .. لا تقتل الذبابة بالمدفع"

ربما تكون قد راودتنى الآن فكرة بحق!!

هز "ميكافيلي" رأسه مؤيداً ..

هكذا قال لنفسه ثمّ حرك رأسه ليسكتهم جميعـــاً "كونفوشـــيوس" و"ميكافيلي" و"زوجته اللجوج " و"جميع الناس فى المقهى من حوله."

إنه لا يريد قتل تلك "الذبابة" لم تكن تلك الفكرة التى يبحث عنها .. إنه يريد فقط إسكاها وإسكاهم وهى لا تكف عن الأزيز .. وهم لا يتوقفون عن الثرثرة.

عليه فقط أن يختار وسيلة مناسبة لإسكات الجميع والتمتع بأبســط حقوقه فى صمت هانىء .. حتى يستطيع الحصول على فكرة حقيقية تستحق الكتابة .. تستحق الحياة.

جمع ساقيه للخلف ثمّ رفع رأسه .. نزع غطاء قلمه الحاد .. رفعــه لأعلى وقرر أن

يقتــ ..

يكتـــب .. شيئاً ما.

تململت بطلة القصة فى وقفتها التى طالت .. وراحت تعبث ببعض وريقات الشجرة الخريفية المتساقطة فوق السطر التاسع من سطور الصفحة (41) وتنفخ فيها لعلها تنتقل من سطر لآخر على سبيل التغيير لكن الوريقات ارتفعت ثم سقطت فى مكانها المعتاد تماماً قبل النقطة ..

طالت وقفتها الوحيدة فى تلك الصفحة وراحت تفكر فى أول الكتاب وكيف كان البطل يرافقها من سطر إلى سطر ويلاحق اسمه اسمها بدون فاصلة واحدة حتى .. وراحت تطرب لسماع ذكرى ضحكاتها المجلجلة .. ووقع أقدامها القافزة منه وهو يجرى وراءها ليلحق بها .. فسمعت صوت تكسر الأعواد الجافة بعد كل قفزة .. وتراءت لها دوائر الماء المتسعة الواحدة تلو الأخرى كحضن لا يتوقف عن العطاء إن لمسته .. ولقطات متتالية من كل مشهد رأته كلما نظرت خلفها لتقيس المسافة بينها وبينه .. رائحة ياسمين تشمها كلما تعمقت فى الذكرى .. ورفرفات طيور تنبىء عن مكانها كلما دخلت لتختبىء منه بين الأشجار ..

لو كانت تعلم أن صاحب القصة سوف يرمى ببطل قصتها بعيداً إلى النهاية ويتركها حبيسة صفحة وحيدة وأخيرة لا تستطيع الخروج منها لما بعدها.. ولا تستطيع أبداً اللحاق به .. ماكانت أبداً لتضيع الوقت فى الاختباء .. ولتعمدت الوقوع حتى يستطيع الإمساك بها.

ب حتى الان سبب خلو الصفحات التالية ... المنفرد فى النهاية !! تلك القصة ليس لها ... الكاتب ليس منطقياً على الإطلاق .. حتى ... لم ابتعدت عن "البطل" .. وبارزت اقتراب ... أمل امتدت من الصفحة (60) وحتى المقطع الأخير ... الصفحة (70) شعرت بغصة وحاولت البكاء فتذكرت أنه ليس من ... وجودها فهذا ليس مكتوباً فى النص تدفع نصف عمرها ... حرية إسقاط دمعة واحدة الآن .. والنصف المتبقى لمن يقلب الصفحات لها حتى تصل إليه .. لتتحول أحداث تلك القصة الدراماتيكية فى آخر لحظة تحولاً غير متوقع فتصبح عظيمة ... أملها الوحيد الآن فى أن يقرر الكاتب أن يجمعهما فى أول صفحة من الجزء الثانى

مابعد الأسوار

راحت أصابعه تنساب على أعمدة السور فى حنان بالغ التقديس .. بلمسات كاهن يتعبد مر عليها .. حتى أنه لم يسمع أصوات الصبية المتندرين عليه فلم يكن معهم .. لقد كان هناك بعيداً خلف السور.

عيناه صوب ذلك الفارس الذى يعتلى صهوة الحصان الأسود .. وهو يعبر الحواجز باقتدار وسطوة .. كان يرتفع لأعلى معه وكأنه يخترق السماء ثم يهبط على الأرض كمن يصنع معجزة .. ياقته المنشاة توحى بالرفعة ونظرته المركزة صوب الآتي بثقة تهز كيانه .. إمساكه بلجام حصانه وكأنه يسيطر على عالمه تصيبه بالقشعريرة .. مجرد شعوره بتلك المشاعر جعله ينتشى.

لم تكن المرة الأولى التى يحضر فيها ليطوف حوله .. لم تكن المرة الأولى التى تهجره روحه لتقف خلف السور تخرج له لسان السخرية وتنظر إليه بعين الشماتة لأنها منطلقة خفيفة ..

أما هو ....

ترك أصدقائه دون وداع .. وراح يكمل طوافه .. وبعد أن كلّت قدماه جلس على الرصيف .. خلع حذائه عنه فطالعه ثقب كبير فى جوربه لم يكن أقل حجماً من ثقب الحذاء .. وضع يده عليه فى محاولة فاشلة لستره .. لوّى أصابعه المنهكة لأعلى ولأسفل ثم ارتدى الحذاء ثانية قبل مزور شخص ما وافتضاح سر ثقوبه أمامه .. شمل نفسه بنظرة متحسرةٍ .. إن عبوره للجانب الآخر من السور يكلفه ما

لا يطيق .. آلاف الجنيهات التى لا يستطيع عدها لأنه لم يصل فى العد لأكثر من عشرة.

نهض من مجلسه وانصرف تاركاً الشارع المتسع لينعطف بعيداً نحو حارة ضيقة وفي انحدار مفتعل فى الأرض سقط .. حيث يسكن فى تلك الحجرة التي انحسر الضوء عنها تاركاً ظلاله المتمايلة علي جدرانها المنبعثة منها رائحة الرطوبة وسرعان ما أحاطت به من الاتجاهات الأربع فجردته من كل أثر للدفء .. لقد كان كل شيء فيها مقبضاً يشعره أنه قد خلع روحه علي بابها ولن يحيا إلا بخروجه..

حتى أمه البدينة ذات الشعر المجعد القصير الذى يطل من مؤخرة غطاء رأسها فى اتجاهات عكسية كانت هي أول من قابله بوجهها الساخط وفمها الذى لايمل من السخرية أبداً وهى تقول:

- إنت جيت يا فالح يارب تكون شبعت سنكحة ...

لم يرد حتى واكتفي فقط بخلع حذائه وجوربه واندس بين إخوته الخمسة على الأرض دون غطاء وفي الليل حلم أنه يطير..

بعد أيام ساقه الشوق للطواف حول السور كما تعود أن يفعل بعد كل فشل يمر.. إنها المرة الرابعة أو الخامسة التى لا يستطيع فيها الاحتفاظ بعمله ــ فلم يكن يقبل السباب ــ رجع إلي هناك وأمام عينيه نظرة أبيه المستكينة.وهو يردد ..

- الأمر لله وحده

أسند جسده علي معبده وراح في نومٍ عميقٍ .

راودته الأحلام بضراوة هذه المرة .. ضيّقت عليه الخناق .. وجهَ أمه الكريه .. رائحةَ الرطوبة .. أباه البائس .. في محاولة للهرب منها -أحلامه غير المستأنسة- استيقظ فجأة .. فوجد الجو ساكناً والليل ربما قد انتصف .. قام واقفاً لينظر بين الأعمدة .. لا أثر لبشـــري .. تشجع ودفع بجسده المرتعد .. وقدميه المتخبطتين ببعضهما الـــبعض إلي الداخل .. نحو (إسطبل) الخيل التي بدأت تصهل فور رؤيته تسلل وقع نظره على حصانه المفضل .. لم يكن حتى ليفكر في اختيار غيره .. حاول أن يعتليه لكنه انزلق وسقط وبعد مرات من المحاولة نجح في وضع السرج عليه ثم قفز فوقه.

في البداية اختلط عليه الأمر بين الحلم والحقيقة .. فراح يغلق عينيــه ثم يحاول فتحهما بسرعة .. مراتٍ ومرات .. كلما قفـــز الحصـــان الحواجز بتلقائية كما تعود عندما كان يضغط علي جانبيه عند كـــل واحدٍ منها .. رفع يديه عن اللجام .. ثم أغمض عينيه وترك جسده للريح تفعل به ما تشاء .. لم يستطع حصر الـــزمن فلقـــد كـــان فى منطقته ما بين واقعه الضيق وخياله الجامح.

إنه أخيراً يطير .. يدوس علي كل العقبات .. للمـــرة الأولى بحياتـــه يشعر بالسطوة.

وسط كل تلك الإثارة يتعثر حصانه .. فيترل يديه في حركة لاهثة باحثاً عن اللجام لكنه يسقط .. يرفع عينيه ليجد أمامه حذاء السائس ذو الرقبة العالية .. الذى أطبق على ياقة قميصه وراح يركله ويلعنه على طول الطريق لقسم الشرطة.

- إنت عارف علشان تدخل نادي زي ده لازم تدفع كام يا ابن الـ..............

وهناك وقف يتندر علي حاله الرقيق وكيف أنه يريده أن يدفع ثمن (استغفاله) وعبوره السور من حريته .. وكرامته وهو يقول:

- أصل يا باشا الروس مش هتتساوى والنادي هيلم إحنا لو سكتنا عليه هنلاقي كل يوم واحد من الأشكال دي ناطت لنا.

هو .. لم يدافع عن نفسه لم يشرح أو يفسر.. وأبداً لم يفكر في الاستجداء .. لم يعترض علي اليد الباطشة به والتى كانت تنهل من جسده وكرامته بنهم .. وكأنه سجادة متسخة عليهم تنظيفها فى أقصر وقت .. ابتلع ألمه .. لأنه لم يكن معهم .. فلقد كان لايزال في منطقته وبعد مدة تنبه فوجد نفسه خلف قضبان التخشيبة.

يمسح قطرات الدم المتساقطة عن فمٍ يبتسم.

تجاعید نفاق

بدهشة عارمة نظرتُ له عندما قال لى: أحــبكِ .. تماماً كتلك التي تعتريك حين تجالس امرأةً فاضلةً تحدثك عن الله وعــن الفضــيلة .. وأنت تستمع إليها مطأطىء الرأس بقبول وديع لكل ما تنطق ..غاضٌ البصر بسلام .. ثمَّ تشعر بغصة في حلقك حين تجدها قــد ختمــت حديثها معك قائلة:

- معاك سيجارة !!

ساعتها ستشعر مثلي برغبةٍ فى الهروب إلي أبعد مكان عن ذلك الوجه المليء بتجاعيد النفاق .. وهاتان العينان الجافتان من دموع الخشية .. ستحملق فيها بذهول كما فعلت أنا .. ثم ستبحث في مظهرك وربما بداخلك عن شيء مشين فيك .. حتى تستطيع إيجاد مــبرر منطقــي لجرأتها تلك عليك وتغير موقفها معك من النقيض إلي النقيض!!

حتى لا تصاب بالجنون .. وتشعر أن الدنيا [illegible] جداً وأن الخير قــد انقطع منها بسكين الكذب الحادة .. وأن زهرة الحياء قد ذبلــت .. هكذا يفعل العقل عادة .. يحاول إيجاد تفاسير منطقية فى المواقف غير المعقولة حتى نشعر بالتوازن .. وحــتى لا نفقــد الإدراك ونبــدأ في الهذيان.

فأنا أعلم أن الحب ليس هو السبب الحقيقي الذى دفعه لهذا القول .. تماماً كما تعلم أنت أنها ليست امرأة مدخنة .. وأنها حين طلبت منك سيجارة لم تكن تريد أن تحصل منك عليها .. وإنما كانت تريــد أن

تطلعك على فسوقها بكلمة مراوغة قالتها فجأة وفى توقيـــت غـــير متوقع ولحظة سكون ضمنتها منك حين غشيك الإنصات .. فربمـــا تكون تلك الكلمة من وجهة نظرها هى القاضية لحالة التعتيم الـــتى تسود بينكما والتى كانت لا تروق لها كما لم يرق لها جهلك بحقيقة رغبتها فيك.

هكذا أرادت أن تطلعك علي الأمر بطريقتها كما فعل الآخر معي .. هو لم يكن يعرف أني أخاف كثيراً من الكذب .. كما لم تكن هـــي تعرف أنك تكره الفاسقات

فررت أنا منه كما كنت ستفعل أنت معها.. فلماذا تلـــومنى علـــى خوفي فى حين أنى لم أملك على كراهيتك..

حين تصبح أنت رجلاً بلا تحفظات .. وعندما أصير أنا امرأة بـــلا مخاوف .. سيكون لهؤلاء مساحات كبيرة فى حياتنا كفيلـــة بجعلنـــا نتروى إلي الظل .. وهذا ما لا أنوى فعله حتماً

ولن أحاول أبداً الوقوع في فخاخ الاحتمالات..

فساتين أمي

الطريق ممتلىء بغياب الشمس وطويل بالوحدة لكننى أعرفه جيداً .. لن يخيفنى زئير الشتاء "بأبي قير" ولن تردعنى حملقة ظـــلال وحدتـــه وانفلات الصخب الصيفي بنزول أولى قطرات أمطاره السمينة.

هاهو الشارع الذى تسكن فيه الست "تريز" خياطة أمـــى .. بيتـــها الرابع على يمين تماماً حيث سأنعطف الآن .. آآآآخ "كلب" رابــض على اليمين!! هذا مالم أحسب له أى حساب!! من بـــاب الحيطـــة سألتجىء لأمان الجهة اليسارية الفارغة .. لا أدرى لماذا تتحـــرش بي زمجراته على الرغم من بعدى عنه وتعمدى ألا أســـتفزه بـــالنظر فى عينيه.. مع كل اقترابة منى نحوه يرتفع شيئاً فشيئاً فتتخبط ركبتـــاى ببعضهما البعض وتصطك .. للحظة أفكر فى الرجوع لكنى لم أخذل أمي يوماً ولا أحب أن أكون جبانة..

قليل من الخوف لا يضير .. هكذا أقول لنفسى ثم أستكمل الطريـــق بخطوات خرساء متحسسة .. إنه الآن متكئٌ على قائمتيه الخلفيـــتين ناصباً قوائمه الأمامية فى تحفز أهلك توقعاتي المتواترة الملحة.

بيت واحد متبقٍ حتى أصل لهدفى .. ولكن تباً مـــن يرفـــع حجـــر اللحظات الجاثم عن صدرى ويعيد لي جزءً من شـــهيقي!! لا أجـــد أنفاسي .. أخشى من زفرة واحدة لا تروق له فتثير غضـــب عقلـــه الصغير ..

لا أعلم على وجه التحديد متى تحول الطريق أمامى لمتاهة مراوغة!!

أشعر بالهذيان وعدم التركيز .. كل حواسي الآن طائعة كجنى مهدد بالحرق ومدموغ بالختم السليماني الذى ستنفذ قوى اسم الله الأعظم الموجودة فيه الحكم عليه إن عصى و لم يُخْضِع لي فوراً سمعه وبصـــره وفؤاده ويشحذ قواه الخارقة عن آخرها ..

أستعد لرد فعل سريع فور التقاطى لحركة أو صوت أو حدس ســـيء تماماً كما حدث الآن فما أن مررت من أمام البيت الأخير إلا وانطلق "الوحش". ينهب الأرض خلفى نهباً .. أما أنا فاندفعت واثبة أمامـــه بسيقان عداءة سويدية .. ورميت بجسدى كله دفعه واحدة للـــهواء .. اهتزت صورة الأرض أمامي فتحولت مشـــاهدها لفـــيلم ردىء تتسارع فيه الأحداث ولا أعرف متى وأين ستقف ..

حمى تنتشر بجسدي بانتشار "الأدرينالين" وفورانه .. أشعر بالوخز فى نقطة ما أسفل جمجمتي .. نار تستعر بمعدتى .. تتسع شرايني خارج حدود احتمالاتي..

أجرى .. أرتجف .. أشجع نفسي على الاســـتمرار وأعـــدها بـــأنى سأصل حتماً لمكان ما يعصمني .. أحاول أن أكون مقنعـــة فـــأنظر نظرات خاطفة للخلف .. إن المسافة بينى وبين "الوحش" مازالـــت متسعة لكن نباحه الناهش لنظراتي يروعني ويزداد ضراوة مـــع كـــل التفاتة.

تغرورق عيناى دموعاً إثر هجمات الرياح عليها من الجهة المقابلة .. أمسحها بظهر يدى على عجل كى أتفادى خطر التعثر (هى ليست غريمتى الأهم الآن) .. تطول المسافة رغم استماتتى فى العدو .. أريد أن أصل وتكاد تعلن طاقتي إفلاسها؛ فلم يبق بوعاء جسدى منها سوى جرعة أخيرة .. تتسارع دقات قلبي لتضخها لي .. يكاد المسكين يفجر قضبان صدرى المعوجة ويتشظى خارجاً منها كي يفعل .. تخور قواى..

يا باب "السيدة تريز" أرجوك اقترب مد إلى يدك وشدنى .. ساقاى يخذلننى ولا أرتدي في قدمي سوى (شبشب) بحر يعريها ..

هل توقف قلبي أم أنه كاد يفعل؟!! مازلت أصر على الفرار ويصر"الوحش" على ملاحقتي .. أفكر ماذا جنيت وهل آذته وداعتى وانكفائى على أرض الطريق حين كنت أمر من أمامه؟!!

أكاد أفقد الأمل في الوصول .. نباحه كقهقهات تتقافز حولى فى كل مكان لم أعد أستطيع تحديد مصدر الخطر .. تزجرني الأصوات .. تزج بي على حافة اليأس القصوى .. فأمد ذراعى نحو باب البيت فى محاولة أخيرة لتقصير المسافات بيننا .. يخيل إلىّ أن باب البيت يشرئب لألمسه .. هل صرت أهلوس الآن؟!!

يختمر عقلي ساعتها بأفكار سوداوية .. ماذا لو كانت "خياطة أمي" نائمة أو أنها لم تكن فى البيت أصلاً؟ وماذا لو كان سكان الأدوار

الأخرى متدفئين فى أسرهم فتقف نوافذهم المغلقة بصرامة في وجـــه استغاثاتي؟!!

عندها أعلن جسدي معصيته تحت وطأة تلــك الأفكـــار و لم يعـــد يستجيب – تقريباً – فقام صوتي بمحاولة انتحارية لنبراته .. صرخت صرخات متتالية طرقت بها كل الأبواب الصماء .. فتحت بها نوافذ الجيران وجعلتها تصطك .. فزّعت دفئهم لينهضوا لى ..

فوّتُّ باب "السيدة تريز" الأرضي مرغمة "فالوحش" لا يتوقف عـــن الركض .. صعدت درجات سلمها ثلاثة ثلاثة أمام إصـــراره علـــى ملاحقتى حتى الموت فيما يبدو!!

أرفع قدمى الأخيرة فيقفز فى وثبة خرافية وينهش "سمانة ساقي" بنابيه ويعض على "فردة الشبشب اليسرى" .. أتركها له .. تفتح "السيدة تريز" باب شقتها فيلتفتُ .. للحظة يحاول موازنة الموقف وحســـاب نسبة الخطورة .. مدى قوته وقدراته ناظراً لغلظة العصى فى يد المرأة وساقى المرفوعة – التى ذاق لحمها منذ قليل – ثم قرر عدم المغـــامرة حين لم يضمن النتـــائج .. وتخبطـــت فى جـــدر رأســـه الهمجـــى الاحتمالات .. نبحني نباحاً متواصلاً ليثبت أنه مـــازال مهيمنـــاً .. تطاير الشر من عينيه مع نظرة أخيرة نظرها لي .. ثم انطلق خارجـــاً من الباب.

تلقفتني السيدة البيضاء الأربعينية فاستسلمت ليديها ودفنت فى لمساها ارتجافاتى .. أجلستنى على الكرسى ثم اختفت فى أحضـــان بيتـــها وتبعها نبضي ولم يعد إلا بعودها وبين يديها المكتنزتين كوباً من الماء دفعت به إلىّ .. رحت أتكلم معها بسرعة البرق بعدما شربت نصف كوب الماء وسكبت نصفه الآخر وأنا أصف لها الموقف بمخيلتى الــتى ترتع فيها الرهبة الآن فتكبر الحدث أضعافاً مضاعفة .. حدثتها كيف أنه التهم ساقى وأخذ ما أرتديه وتركنى حافية .. غارقـــة فى عرقـــي وطنين موجع يصم أذنى.

حين تأكدت السيدة من ذهاب روعى دفعـــت لى بفســـاتين أمـــى الجديدة وشبب قديم كان لديها أكبر من قياسى .. ربتت على كتفى مقدماً .. ربما لما تعتقد أنى سأواجهه مرة أخرى وحدى .. وغلّقـــت الأبواب في وجه الحدث برمته.

أما أنا فعدت مرغمة لمواجهة ذلك الطريق الذى لا أعرف حقاً كيف سأعود منه مرة أخرى؟ ولا ماذا سأفعل لو سمعت نباح كلاب مـــن بعيد بساقى الوحيدة .. وقلبي المرتعد .. ومخيلتى الخصـــبة والمحملـــة بالرعب؟!!

مقعد فارغ للحبيبة

كادت تلتصق بالمقعد مخافة ان يغلبها خجلُ انصـــراف أغلـــب رواد المطعم الفاخر فتضطرِ للرحيل أيضاً مثلهم .. فربما يأتى بعد انصرافها بلحظة وهى لا تستطيع أن تجازف بالاحتمالات عندما يتعلق الأمـــر برؤيته .. أخيراً سوف تنشغل قليلاً بإعادة ترتيب طبقـــه وكأســه وملعقته أو ربما تنادى النادل وتطلب شاياً أو عصيراً مثلجاً فهـــو لم يحضرِ ليسألها ماذا تريد .. على أية حال قد تفعل أى شيء .. المهـــم أن تواصل الانتظار... إنها لا تصدق أنه قد خذلها ولم يحضر!! تكره حتى مجرد أن يخطر ذلك ببالها .. إنها لم تشك فى صدقه ونزاهته يوما .. لا .. لا يمكن أن يكون هو أيضاً ككل الآخرين الذين يحطمـــون القلوب بسهولة ثم يمضون بلا اكتراث .. لا يمكن أن يكون .. فهـــو يعلم أنها تحبه بصدق .. إذن فلن يكون سيئاً ويخذلها ليس الآن حتماً .. وليس بعد هذا الحـــب الكبير والوعود والتضحيات بالســـعادات الكثيرة من أجل سعادة واحدة فقط -كانت ستكون الأكبر – عقلها يرسم فى مخيلتها العديد من الاحتمالات الاضطرارية .. تغمض عينيها عندما تصل الى أسوإها .. أن يكون قد أصابه مكروه .. وتهز رأسها كمن يريد أن يفيق من حلم مزعج .. عند هذا الحد من التوتر أنقذها القدر بظهوره على باب المطعم .. يا الله .. كم هو هـــى الطلـــة .. واثق الخطوات .. بشوش .. كلما اقترب كلما تسارعت ضـــربات قلبها ووضعت يدها على صدرها مخافة أن يتوقف من فرط تســـارع

دقاته .. الآن هو أمامها مباشرة .. لم يتبقَّ غير خطوة واحدة على السعادة الكبيرة .. ولكن لماذا لا يعيرها انتباهاً و لم يحيها أو حتى يعتذر عن التأخير .: لماذا خلع معطفه وأسند مرفقيه على حافة الطاولة .. وأسقط رأسه بين كفيه!! ولماذا بدأ فى البكاء!! كل ما فات لم يكن مدهشاً لها على الإطلاق بقدر إجابته بالنفى على النادل عندما سأله:

– سيدى هل ستطلب شيئاً أم أنك تنتظر أحداً؟

لماذا هذا التجاهل؟!! .. وما الذى يكتبه على طرف الورقة البيضاء .. اشرأبت برأسها كى تقرأ ما يكتب ..

" حبيبتى: ليتكِ الآن معى فى المكان الذى تواعدنا على اللقاء فيه آخر مرة .. ليتكِ بجانبى فأنا بدونكِ وحيد .. وحزين .. ولا أعرف أين أذهب إلا لكِ.

حبيبتى: لماذا تركتينى ورحلتِ .. أمَا كان الموت يستطيع أن يتمهل قليلاً حتى ألقاكِ!! .

إنى أحبكِ .. إنى أحتاجكِ."

ببؤس أجابت الروح .. ولكننى بالفعل إلى جوارك ..

فسرت بجسده قشعريرة .. ثم أطرق نحو الفراغ .. وابتسم.

هالة زرقاء

اتكأ الزورق الخشبي المتهالك على سور "القلعة" محاولاً إطاعة رغبة راكبته في عدم إحداث صوتٍ يُذكر.. والتي نزلت منه متخفية في عباءتها الفضفاضة .. مخفية رأسها تحت غطائها الواسع المتهدل.

في خفة تسللت للداخل عبر السرداب ثم تتبعت الطريق المطبوع بذاكرتها.

لا تذكر في الحقيقة واقعة قدومها إلي هنا من قبل لكنهم جميعاً أخبروها أنها حين تدخل سوف تعرف طريقها على الفور.. تماماً كأى"كاهن" أو"مسخٍ" ولد في "القلعة".

تلك المجازفة لم يكن دافعها أنها قد صدقتهم واطمأنت لروايتهم .. هؤلاء "المتنبئون" الذين أرسلوها .. وإنما رغبتها العارمة فى الحصول عليه "كتابهم المقدس" ذلك الذي يحرسه "المسوخ" ذوى الأرجل المبططة العريضة والرؤوس المنبعجة الصلعاء.

"مسوخ القلعة" الذين لا عمل لهم سوى تنظيفها بالمقشات إنشاً إنشاً وأكل كل متطفل يفكر في الدخول وتلك بالطبع كانت جائزتهم الكبرى والتي يتلهفون فى كل لحظة للحصول عليها.

عملية دخولها تمت بنجاح .. أما عن تجوالها الحر فى جنبات "القلعة" المبنية بالطوب الحجرى الكبير والخالية من الأثاث كانت صعبة خصوصاً وأن اليوم هو يوم "التعميد" وتلاوة نصوص كتابهم المقدس عند اكتمال القمر.

الأروقة الضيقة بدت مكاناً جيداً لاحتواء جسدها الدقيق عند سماعها لصوت ما يقترب .. لم تكن القلعة فى حاجة لوسائل حماية مكثفة فوجود "المسوخ" كان وحده كفيلاً بإلقاء الرهبة فى نفوس الجميع وانتزاع فكرة الاقتراب من عقولهم.

إلا أنها الوحيدة التي يمكنها أن تدخل دون خوف .. فلن تستطيع "المسوخ" الامساك بها عند رؤيتها.

لا يعرف "المتنبئون" السبب فى ذلك حتى الآن لكن النصوص التي لديهم تؤكد لهم أنها "المختارة".

قلبها لم يكن يدق خوفاً .. كل ما يدور بخلدها كيف تصل بالكتاب إلى "المتنبئين" كي يفكوا طلاسمه ويخبروها عن مكان أبيها ذلك البطل الذي سمعت عنه الأساطير بينما لم تره قط .. والذي لم يمت ولا أحد يعرف مكانه على وجه التحديد سوى طلسم معين مكتوب بداخل هذا الكتاب .. وهنا تكمن أهميته الحقيقية بالنسبة لها.

وصلت للحجرة الدائرية حيث كان العمود الحجري متوسط الطول والمخصص لحمل كتابهم المقدس مشعاً هو وكل ماحوله بفعل ذلك الضوء الداخل من الكوة العلوية المجوفة أعلى الحجرة.

بحذر مدت يديها وحملت الكتاب .. دسته فى ردائها وتسللت متأهبة للخروج .. لكن مسخاً متطفلاً جذبته رائحة دمها الطازجة والشهية أتى مهرولاً .. الآن واقف هو قبالتها تماماً بعينين متسعتين ولعاب

يسيل يحاول مد يديه ليمزقها لكن "هالة زرقاء" أتت من العدم أحاطت بها على الفور ومنعته .. كانت هي أكثر اندهاشاً بظهورها إلا أنها اقتنصت تلك اللحظة لتهرب منه.

لم يكن الأمر بهذه السهولة فالوقت كان قد انقضى وتبقى على اكتمال القمر دقائق .. هاهم الكهنة قد توافدوا على الرواق الطويل بأرديتهم البيضاء واسعة الأكمام والتى يتوسطها خط أحمر عريض على طول رداء كل واحد منهم من الخلف ..

فى اتساق عجيب نزلوا صفوفاً وخلفهم كبيرهم الذى كان يمشى مغمض العينين ثم توقف فجأة واستدار ليراها .. الآن هى فى خطر حقيقي مع كل اقترابة منه نحوها .. عقلها يفكر في حل سريع ماذا عساها تفعل؟؟

زاد من اقترابه مندهشاً محدقاً بهالتها الزرقاء المشعة كشمس نجم لم يُكتشف بعد .. فكرت فى ضربه بالكتاب ولكنه جذبها من ذراعها إلى الظل وأشار إلي الفراغ .. فخرج رداء كردائه تماماً دفع به إليها لتلبسه دون أن ينبس ببنت شفة .. حاولت أن تستفيق من اندهاشتها لتدس يدها فى الرداء لكن الأمر لم يكن بالسهولة التى ظنتها .. بدأ يساعدها بالتخاطر.. العجيب أنها فهمت مايريد قوله .. في عجالة تهيأت للهروب من وسط الجموع ثم العودة للسرداب ومنه للزورق

.. هكذا أمرها أن تفعل حين تخاطر معها قبل أن تسرع لتلحق بالجميع كأنها هو .. سألته:

- لماذا تساعدني؟!!

أجابها ..

- لأني من تبحثين عنه.

صدمتها الحقيقة كحجر طائش صُوِّبَ إليها فرَجعت برأسها للخلف قليلاً .. ثم لوهلة فكّرت فى الاندفاع نحوه واحتضانه لكنه دفعها بقوى غريبة صارخاً دون أن يفتح فمه:

- لاوقت الآن .. اهربي على الفور وأعدك أني سأجدكِ قريباً.

انطلقت دون إرادة ووقف تحت الكوة فارداً ذراعيه ضارباً كفيه الكبيرتين مرات ثلاث محدثاً دوياً يصم الآذان لإلهاء الجميع.

في وجه الاتهامات

رائحة سلام تُعَبق البيت مع البَخُور .. الضوء يمر من فتحات النافذة منجذباً للهدوء .. يتمطى بأرض الحجرة ثم ينـــدس فى نعـــيمٍ بـــين المفروشات البيضاء ليذوب فيها .. الأم ممدة بغرفتها تتداعي حبـــات مسبحتها الكهرمان الواحدة تلو الأخرى بين أصابعها بعـــد صـــلاة العصر .. وابنتاها فى الغرفة الأخرى يقمن عرضاً طفوليـــاً للأزيـــاء بملابسهن الجديدة أمام المرآة .. مذعوراً فر الهدوء لائذاً بـــرداء الأم المنتفضة مع طفلتيها بعد سماع طرقات وقحة بالبـــاب .. في حـــذر فتحت ومن ورائها الفتاتان .. قبالتها رجل ذو ملامح غليظة ومـــن خلفه آخران رديئا الملابس ضخما الجثّة .. يخبرها الغليظ – من أسفل نظارته الشمسية – بأمر القبض عليها .. ترتع "الأم" .. تمتقع وجوه الفتيات .. ويكرهن ملابسهن الجديدة المدفوع ثمنها بشيك بـــدون رصيد مضافاً إليه صفراً كاذباً .. تحاول إحداهن إخفاء أحذية العيـــد تحت السرير بساق هزيلة ربما يخفف ذلك عن أمها قليلاً .. تتقدم منه الأم مستعطفة ليتركها حتى يأتى زوجها من العمل فهو فى الطريـــق وهى لا تستطيع الذهاب وحدها وتترك الفتاتان .. تـــزداد ملامـــح الضابط قسوة وهو يقول:

– يلا خلصينا ..

تظن أن بمقدورها الإصرار على موقفها .. يزمجر الضابط مهـــدداً .. تصلب هى جسدها بالباب أمامه .. يتحفز ليأسرها .. تصرخ:

- مظلومة والله العظيم .. مظلومة ..

لكنه لا يكترث .. يبدأ فى اقتلاعها من البيت بيديه المدربتين جيداً.. باب الجيران ينفتح برفق .. تظهر من خلفه أعين متلصصة ترتعد من المشهد فتسرع بغلق الباب .. الفتاتان قطتان مسعورتان من فرط الفزع .. تحاولان حماية أمهما .. يتدخل ضخما الجثة يسحبان الأم بضراوة فينشق ردائها عن الكتف ليسيل بياضها سريعاً من الشق .. الفتاتان تصرخان صرخات ذعر واستغاثة .. تتشجع الكبرى فتنشب أظافرها فى ظهر أحدهما لكنه يلتفت ليصفعها فتتدحرج على الأرض ككرة ثم تعاود الوقوف .. الوقت ليس مناسباً للألم والسقوط بعد .. لكنها شعرت بمدى قوته ويشعر هو بالضجر من محاولاتها التافهة لتعطيله .. الصغرى وراء الكبرى وكأنها تحمى ظهرها تضرب هى الأخرى تطرح يدها الهزيلة على كتف الرجل الآخر الذى يجذب أمها لكنه يهشُّ يدها كذبابة مُلحّة ..

الضابط يرعد .. تختفى رأس صغيرة كانت تتلصص أسفل السلم .. الآن الأم على باب البيت ممسكة بالدرابزين .. جسدها متدلٍ وهى تقول:

- لو هتموتنى مش هركب البوكس .. انا عندى بنات ..

صوت أقدام على السلم .. يرفع الأب بصره فيرى زوجته ممددة باستماتة على الأرض بكتفها المشقوق .. لا يفهم ما يدور لكن

مشقة اليوم تسقط عنه كسروال اتسع فجأة .. يرمى بكيس الفاكهة بعيداً ويندفع ليدخل هو الآخر فى الدائرة .. يضرب بعشوائية فيرفع الضابط نظارته على مقدمة رأسه وينظر بعين كالشرر ثم يقابله بقبضة تغوص في معدته يشعر بعدها بالقهر .. لكنه يستميت على قدمي زوجته وفى عينيه نظرة خزى من راتبه الضعيف .. الضابط يتأهب ليستعمل سلاحه - ما الذى يمكن أن يمنعه من ذلك - .. إنه يقوم بعمله وهم مجرمون .. لكن نظرة صادقة من عينين مظلومتين بحق اخترقت قلبه .. جعلته يتردد .. إنه أمام عائلة تدافع عن نفسها كدفاع المظلوم — ربما - وعند هذه الفكرة فقط توقف ورفع يده فإذا بالثورين الهائجين من ورائه يتوقفان فى استنكار .. تحبس العائلة أنفاسها فى انتظار كلمته الفاصلة .. ينظر الضابط إلى الأب وبغلظة يأمره أن يصطحب زوجته مساءً إلى قسم الشرطة .. وإلا ..

ينسحب ومخبراه فى هدنة قصيرة .. في غضب يركب السيارة مخفياً عينين بشريتين تحت نظارته .. يقول آمراً:

- شغّل السرينة..

وسط جموع الجيران يمر مخلفاً وراءه أعين متجسسة .. وأخرى شامتة .. أجساد متدلية من النوافذ .. كرابيج من الالسنة تضرب بافتراءات .. العائلة تلملم شتاتها وتدخل المترل بوهن لتغلق الباب.

الشغف

قفز مسرعاً .. مرتقياً درجات السلم .. فلم يكن لديه الوقت والصبر الكافيين لانتظار المصعد .. فى الطريق إلى غرفة الفندق متوسط الحال كانت مخيلته ترسم له جميع خطوط وجهها الضائعة منه .. الآن عيناه على استعداد تام لالتقاط درجة السمرة فى وجهها ولون شعرها المموج وعيونها العسلية لتعود صورتها متألقة أمامه من جديد .. أنفه بالفعل يستحضر رائحة عطرها .. وحرارة جسدها عن قرب – فى الخيال – تكاد تحرقه .. كل هذه الأفكار ما كانت تحتل ذهنه إلى أن وصل إلى الباب .. دفع بجسده إلى الداخل .. نظر بكل الاتجاهات .. راح ينادى باسمها لكنها لم تجبه!!

مازال عقله يبث إليه تلك الإشارات اللعينة ليبحث عنها فى كل مكان .. يود لو يتوقف عقله عن بث تلك الذبذبات الموجعة لكنه لا يفعل!! يبدأ فى ملاحظة الأشياء من حوله .. كل شيء يدل على أنها كانت هنا منذ قليل .. فنجان الشاي مازالت أبخرته تهتز فى الهواء بوهن .. باب الدولاب مازال يهتز .. انزلقت منشفتها التى ألقتها منذ قليل بإهمال وعلي عجلة من فوق السرير .. لماذا يا حبيبتي ؟!! لماذا تسبقيني دائماً بخطوة .. وأنتِ حاضرة في كياني .. صوتكِ يملأ أذني .. كلماتكِ عالقة بذهني وأنتِ هناك بعيداً دون حق امتلاك ..

لماذا تبدئين بلا نهاية فتثيرين بداخلى حباً جائعاً ورغبة متقدة فيـــكِ دون سواكِ..

لماذا تركتِ لى عنوانَكِ الجديد وموعداً للقائكِ .. نسيتِ أن تزيـــدى عليه دقيقة فأدور خلفكِ في دوائر لا نهاية لها ولا أجدكِ؟!! فـــأعود لحياتي دونكِ متأهباً للبحث عنكِ .. مترقباً لظهورك فى أية لحظة.

عندما رحل معي

مازال يثرثر وأنا ألتفت لذكرياتى مع الآخر .. يلقى بتفاهاته فى أذنى ولا أعترض .. يغرقنى فى المشكلات ولا يخرجنى منها .. كان يفعل ذلك بتلك التى كانت بجانبه .. أما أنا فكنت بعيداً عند المنحنى .. مشاعرى ممدة مع ذرات التراب على الأرض .. سائرة على سور البحر .. مختبئة عند الشجرة التى كنا نجلس تحتها .. فى كل مرة كان يغرقنى بمشاكله .. كنت أطلب منه الذهاب إلى هناك .. وأترك له عنان الحوار ولا ألتفت .. وعندما يفرغ ما عنده .. أضع مشاعرى وأعدها بالعودة إذا كرر علىّ ذلك ..

عندما عاد لثرثرته أغمضت عيني ورحلت به بعيداً .. جعلته يحملنى فوق السور .. يسير معى برشاقة عليه .. ينظر للغروب فترق روحه .. وقبل أن نعود وجدته قد توقف عن الثرثرة وقال:

- أحبك.

فالتفت إليه بكل قواىَ.

رحيل أخير

توقفت مركب أحلامها الخشبية الصغيرة بين شاطئين .. أحدهما لـــن تعود إليه أبداً مهما كلفها الأمر حتى وإن ظلـــت تائهـــة للأبـــد .. والآخر لن تصل إليه أيضاً مهما حاولت .. ربما لأنها أصبحت مركباً عجوزاً واهنةً .. أو لأن القدر لم يمهلها .. أو ربما لأنه يجب دوماً أن يكون هناك حلماً متبقياً وغير محقق فى مخيلة كل واحد مـــن هـــؤلاء البشر التعساء يظل يلاحقه حتى يلقى حتفه تحت أقدام الحلم الهروبى المشاغب والذى يأبى التحول لحقيقة.

على كل الأحوال عند نقطة التيه تلك ستموت صاحبتها وســـيكون حولها أناسٌ كثيرون يبكونها بدموع حقيقية وحارة لأنهـــم أحبوهـــا بصدق .. ولكن لن يكون من بينهم ذلك الذى أحبتـــه .. تعـــرف المركب ذلك جيداً ولا تعرف صاحبتها ..

ربما كان يضحك ساعتها على نكتة ألقاها أحد أصدقائه فى لحظـــة موتها وهو جالس على مقهاه المعتاد فى بلاده البعيدة عنها وهى تعانى سكرات الموت وتحاول أن تمسح رشح جبينها فتخذلها يدها .. وربما كان يعبث مع امرأة أخرى لاتحبه ولا يحبها حتى .. وربما لن يعـــرف بخبر موت صاحبتها إلا صدفة وبعد سنوات فيشعر أن الأمـــر قـــديم وأنها لابد وقد تحولت الآن إلى مخلوق شائه فى قبرها .. ولم يتبق من جمالها سوى ضحكة صافية مازالت تحاول البقاء فى صورة أخيرة لديه بهتت مع الزمن .. وربما سيحاول عند تلك الفكرة أن يذرف عليهـــا

دمعةً؛ إجلالاً لذكراها .. لكنه لن يستطيع .. فيرفـــع كتفيـــه بـــلا اكتراث ويبحث فى التلفاز عن فيلم مسلٍ يُلهي ذاكرته ويبقيها بعيدة عنه بقدر الإمكان.

غريب أمر البشر.. كم يستطيعون التأقلم وابتلاع الحزن بسهولة!!

الطريق

يندفع خارج البيت مقسماً ألا يعود .. فالجحيم أقل وطأة من حياته فيه .. فى طريق مختصر يسير إلي المحطة .. عندما يصل يتحسس جيب سرواله .. يدس يده فى حلق الجيب ليخرج الجنية الوحيد المحشور فيه .. ينظر له نظرة خاطفة وسرعان ما يعيده إلى مكانه عندما يسمع صوت القطار .. ثم يقفز خلسة فوق (العفريتة) ومنها لسطح القطار .. يتمدد عليه وينظر نحو السماء .. يفكر أنه الوحيد الذي يسير فى هذا الاتجاه والعالم بأسره يسير في اتجاه عكسى .. الهواء يصفعه علي وجهه صفعات تذكره بوجه مدرسهِ الغليظ.

يغلق عينيه فيستشعر ألَمَ الصفعات .. ألَمَ الحصار الذي وقع فيه عند عودته من المدرسة .. أباه بالباب والشرر يتطاير من عينيه .. شهادته المدرسية مدلاة فى يده المتحفزة .. آلاف من الاتهامات قافزة من أعين الجميع .. بأيهم يبدؤون .. فكيف يخفى عنهم رسوبه منذ شهر وهو المتفوق دوماً.. صاحب شهادة الطالب المثالي التى تتوسط غرفة الضيوف .. محاصر هو وسطهم بعدما التفوا حوله فى دائرة من الصراخ والسباب التى تنهال عليه كمطارق مستبدة تخرق رأسه .. ينظر إليهم فى يأس لا فائدة من محاولة الدفاع عن النفس .. أصواتهم تقرع أذنيه .. يضيقون الحصار .. أبوه يشترك فى الحوار بيديه حتى يصبح الحوار له وحده شيئاً فشيئاً ..أمرٌ ما بداخله دفعه للتذمر حينها .. إنها الفرصة الأنسب للتعبير عن رفضه لتلك المعاملة وخصوصاً بعد

تلك الصفعة .. لابد له الآن أن يلوِّح بيديه ليضرب الحصار ثم ينطلق فى ثورة على الديكتاتورية.

(سميط . بيض . جبنة)

(حاجة ساقعة . بيس ...)

(نعلن عن قيام القطار المتجه إلى .....)

يفتح عينيه ليجد نفسه وحيداً على السطح فى مكان جديد .. يــنزل ويسير مسرعاً حيناً بفضل الفراغ وبطيئاً فى حين آخر بفضل التكدس والزحام وسط أجساد صاخبة .. وجوه لا يهمها النظر لأحد تبحث فقط عن وجهتها ومرادها .. يخرج من المحطة إلي أبعد ما استطاع أن يصل إليه .. تلك الطرقات تنكره وتركله ركلات تلقَّى مثلها كــثيراً من والده .. فى النهاية لا مفر من الرقود مع أكوام اللحــم المتنــاثرة عليها هنا وهناك.

أكوام قذرة منهكة من عناء يوم قاتل .. فاغرة الأفــواه .. صــوت شخيرهم عالٍ على الرغم من أنهم فى مثل سنه .. فى أول الأمر كان مستنكراً .. أما عنهم فلم يمهلوه الوقت الكافى للتفكير كان تعارفــاً سريعا بدأ باقتناص الجنيه الوحيد من جيبه كي يسمحوا له بأن يندس بينهم .. ثم بحشر عقب سيجارة في فمه من كــبيرهم كــي يعلمــه الرجولة الحقة فهذه إحدى شروط الإقامة على الرصيف..

فى الصباح سحبه (الزعيم) معه إلى (المعلم) .. وبعدما عرف قصته أمر بضمه إلي (جماعة النباشين) .. فى المقلب الكبير غرسه (الزعيم) بعدما حدد له نسبة القتاوة فى ربحه اليومى ..

أصابعه متقززة من النبش فى الأكوام القذرة .. لكن معدته تدفعه للبحث .. بصعوبة بدأ يجمع كل ما تقع عليه عيناه من زجاجات سليمة ومبتورة وقطع ممزقة من البلاستيك .. بعدما امتلأ جواله حمله ثم استدار ليُرى (الزعيم) ما جمع .. ولكن الآخر نظر اليه باستخفاف فقال:

– استنضف ولم السليم ..

الجميع عند (المعلم) .. عملية الحصر طويلة وهو يتلوى من الجوع لكن عليه أن ينتظر دوره فالأمر يسير حسب الأقدمية .. وعندما حان أخيراً .. أخذ قروشه وانطلق ليشترى الخبز والفول .. جلس على المقهى وطلب الشاى ثم انكفأ علي وجبته يلتهمها وفجأة .. تذكر طعام أمه الدافيء .. كم كان يحب مذاقه .. لكنه يكره نصائحها المتكررة .. ثوب الواعظ الذى لا يفتر عن ذكر المباديء الدينية ولا يقبله إلا قديساً .. كان يجب عليه دوماً أن يكون متفوقاً ملتزماً .. فهاهو يرسب وينحرف على عكس ما كان يدفعه إليه الجميع بشدة وعنف .. لذلك لم يكن أمامه اختيار سوى الهروب ..

شربَ الشاي وسار إلي رصيف نومه بقوى كهل .. قبل أن ينام لمح وجه فتاة تحمل ملامح أخواته الكبار ..

هل يفتقدهن؟؟

منح وجهه للحائط ثم غرق فى النوم وهو يبكي .. بعد أيام لم يعد يحصيها لأن كل منها أصبح يريه وجهاً مختلفاً لم يره من قبل .. حاول حمل (المعلم) على رفع أجره قليلاً .. كقشة فى وجه ريح .. وقف أمامه ينتظر الرد .. نظر إليه الآخر ثم صاح:

– بتقول إيه يا إبن الـ ......

ثم قام وصفعه صفعة كفيلة بأن تجعله يصمت للأبد .. فر من أمامه على يديه وركبتيه وتركه يواصل سبابه.

كان قد كره القذارة التى أصبح جزءً منها .. تلك النظرة المتبلدة التي طفت على عينيه .. المشاهد الشاذة التي كان يراها ليلاً على الرصيف .. رائحة السجائر التي كثيراً ما تأرجح مع الفتيان بعد أن يملأ بها رئتيه .. وفي لحظة ألحت عليه وجوه أخواته .. إناء الحساء الذي تتصاعد منه الأبخرة .. دعوات الأم .. ركلات الأب .. الكتب المفتوحة .. ملابسه النظيفة .. سريره .. كلها لقطات راحت تلاحقه..

راح يجري بخطوات هروب وملاحقة حتى وصل إلى المحطة .. تكوم في أحد الاركان .. الخوف يهزه .. يعصف به .. أفكاره الآن بـــين تقبله ورفضه .. ينظر للأرض .. ماذا لو كان القطار بلا قضبان؟!! يلمحه داخلاً المحطة على قضيبيه اللذين يثبتانه في الأرض بإحكام حتى لا ينقلب حين يتأرجح .. فوقف ليستعد.

خــــلاف

اصطفت كل مشاعري بحرابها المسننة الواخزة خارج شرفة مطبخي كجيش مضطرب تناهى إلى مسامع مُحاربيه موت القائد لكنه لم يتأكد من الأمر بعد .. وضعت "الكنكة" بعصبية على عين النار الشاخصة فارتعد البن القاتم داخلها من غضبتي وتكوم مستسلماً للعذاب دون أن يعرف ما الجريمة التي أعاقبه من أجلها على وجه التحديد .. أشحت بناظري عنه نحو السماء الملطخة بسحابات رمادية خانقة .. وكأن بيت الكون قد احترق لتوّه.

نظرت لأبعد من الظلمة المحيطة .. وجعلت سمعي يغلق الباب في وجه الضوضاء التي تصنعها ابنتي .. بكاؤها يوزع قلبي على الجوعَى بعشوائية كرغيف ممزق .. فيغرسونَ أسناناً من الوجع الشره فى وسطه ويعضون على الأطراف .. إنها تتصدق بألمي .. تعطيه للاشىء وتسرف .. عطاء من لا يملك لمن لا يستحق.

أُخفي تَفتُّتِي باستحضار صورتها حين بدأت تكبر قليلاً .. وامتد عودها كنبتة السيكويا دائمة الخضرة .. تذكرت تفاخرى وأنا أقف إلي جوارها لنلتقط صورة .. أى صورة كنا نلتقطها معاً .. تماماً كذلك التفاخر الذى يشعر به الظلام حين ينظر لابنه القمر وهو يقف في منتصف الشهر مزهواً باستدارته التامة.

هززت رأسى هزات دون جدوى حين تذكرت نفسى وأنا أختلس من قامتي قليلاً حتى تبدو هى في الصورة أكثر ارتفاعاً وأمشق قواماً.

لاأذكر أننا قد اختلفنا هكذا من قبل .. بل ربما لم نختلف أبداً!! شباك الجيران الفاغر فاه دهشة من أصواتنا التي تقطعت أحبالها من الجذب والتراشق بنُوتاتِ الغضب والاعتراض المتباينة أكد لي هذا.

لست أفهم ما الذى يغضبها مني هكذا!! أعذارها واهية وحجتها مُدْحَضة باهتمامي لأمرها .. أفقت على صوت فرار قهوتي من ملاحقة سخونة النار إلى حافة "الكنكة" ولما فقأت لها عينها تهاوت فى القعر جسداً دون وجه .. زاد ذلك من حنقي على كل شيء.. كل ما تمسه يداى يفسد على الفور.. أكاد أشك أنى لو اجتهدت فى أخذ أنفاسي بقوة أشد مما أتنفس بها الآن لمت مختنقة .. إنها تصرخ في وجه شيء ما لا أراه وكأنها تتحدى وحشاً يقف من خلفي ويخرج لها لسانه المشقوق كثعبان لزج .. ترشق عبارات اهتمامي بعدم الاكتراث وتصنع بداخلي هوة الوجع الأكبر الذى أخشى من السقوط فيه فأنا لا أجيد تسلق الوجع.

طعم القهوة فى فمي شديدُ المرارة ومحترقٌ بعد امتزاجه بلُعابي "أشعر أنى قريباً سأصاب بمرض السكّر.."

صوتها من بعيد يناديني ..

ينزلق غطاء الأفكار عن رأسي المحموم وأهوى إليها مجيبة.

شريط ضيق

كنت أسير على شريط ضيق كان هو كل ماتبقى من الرصيف .. بعدما احتلته شجرة غير مهذبة وبعض درجات سلم لمحل مغلق لم يعد مصدراً لرزق أحد .. وعامود معلق عليه "يافطة" كبيرة مربعة ومضاءة بالنيون في "عز الضهر" عليها صورة مرشح أذكر أني قد رأيته من قبل .. كانت اليافطة معلقة من بضع سنين .. ولكي يوفر مرشح تلك الدائرة تكاليف حملته الجديدة اكتفى بتغيير رمزه الانتخابي عليها من رمز "القطار" إلى رمز "الفلوكة".

كنت أسير على الشريط الضيق المتبقي من الرصيف متعَبةً ومَن خلفي جميعاً إثر محاولاتنا المستميتة بعدم الاصطدام بالقادمين من الاتجاه العكسي لنفس الشارع المملوء بالتفاصيل.. ينظر كل منّا أسفل قدميه بحرص شديد كي لا يسقط فيفقد كرامته على تلك المساحة الضيقة والمهملة من الرصيف كمن فقد قواه.

مررنا جميعا من ذاتُ الطريق ولكن ليس بنفس الطريقة .. فتلك الشجرة لم تكن هينة أبداً .. من حين لآخر كانت تصفع أحدنا بفرعها الأجرد مدعية أن الريح شديد .. متحدية قطرات العرق الناطقة بكذبها على جباهنا .. درجات السلم الجرانيتية قررت أن تمارس معنا أيضاً بعض الألاعيب حين يضطر أحدهم أن يسند عليها لدقيقة .. كانت تنحسر للخلف وتتزلزل متعللة بكسرٍ خفيّ فيها .. حتى عامود اليافطة كان يصعق المارة بلؤمٍ.

حين تمر من هذا الشارع كما فعلت أنا ستسمع من وقت لآخر أحدهم يتأفف وهو يقول:

- أستغفر الله العظيم أنا إيه اللى جابنى من هنا بس!! ده باينه يوم مش طالع له شمس ..

وستنادى على آخر يسير أمامك ببطء شديد كى يصنع لك ولو فرجة صغيرة لتمر منها .. فيلتفت لك وعلى وجهه نظرة غير مبالية ويدير وجهه دون أى تغير فى سرعته.

ستختنق من سيجارة أحدهم وعلى الرغم من ذلك ستشاركه فيها بفعل القرب المكاني .. وستُخرج لك صورة ذلك المرشح لسانها حين يبدأ الطريق في الاتساع قليلاً أو حين تفكر أن تأخذ أول منحنى يقابلك فراراً .. فإنك شئت أم أبيت من سكان هذا الشارع المراوغ أو أحد أزقته.

الأحبار الحمراء

قفز مستعداً للاستقامة بين أصابعي .. حين فتحت له الدرج ابتهج.. دار حول سنِّه .. تأكد من امتلائه بالحبر لكنني أغلقت الدرج في وجهه فسقط على ظهره في ذهول.

لم أعد أحب الإمساك به .. تحريكه على السطور المنتظمة برشاقة .. الدوران به على كل المنحنيات فلم يعد يستجيب .. كلما أمسكت به وأطلقت سنَّه الحاد فوق أوراقي كتب (أحبه ـ أحبه) وعندما أشطبها يكتبها ثانية دون الرجوع إليّ .. كرهت لونه الأحمر الذي يفرضه عليّ دوماً حتى أنني غيرت أنبوبته مرات عديدة إلا أنه يصرُّ على إثارتي بذلك اللون اللعين .. أكره كفره بكل معتقداتي ومبادئي لذلك لن أفتح له الدرج أبداً.

يخبط غطاؤه بالدرج .. يقطر أحباراً تتساقط فوق السجادة .. تُكوِّن بعض الأحرف الصاخبة ..

- أخرجيني .. اضطرب.
- أخرجيني .. أقوم فأتوضأ.
- أخرجيني .. أوارب الدرج وأقوم لأقف على سجادة الصلاة.

لكنه يقفز مسرعاً من الدرج ليغرس سنه الحاد في قدمي العارية .. يمدُّ أحباره الحمراء إلى قلبي ... ويكتب ..

- أحبه .. أستعذ بالله.
- أحبه .. أستعذ بالله.
- أحبه .. فأسلم عن اليمين واليسار.

وثقلتْ خطاها

على الرغم من نهر الجميع لها إلا أنها مازالت ترقص .. ترفع المقاعد تجمع كل القاذورات .. تضع المكنسة فى الماء وترقص بها على الأرض وبعد أن تنتهى تنحنى لها .. كانت تفعل ذلك فى كل حجرة حتى تنهى عملها .. تنزل على السلالم برشاقة فى ثوبها المزركش .. منذ أيام يصر على ملاحقتها بعينيه وهى بالخارج .. يدعم جمالها بعباراته المتوددة فتزهو بنظرات الإعجاب التى اعتادت رؤيتها من (المكوجى – والفران – والخضرى) لكنها تختلف حتماً حين تصدر من رجل مثله.

فى خفة يصعد السلالم .. يصلح من هيئته .. يطرق الباب فتفتح له بصحبة مكنستها وثوبها القاتم البالى .. ينصرف دون أن ينطق .. تسألها ربة البيت عن الطارق فترد:

– واحد تايه يا ستى.

تدخل الغرفة .. ترفع المقاعد .. تضع المكنسة بالماء وتحركها ببطء دون أن ترقص.


غـُــــش

يخدعه بعض الريش الذى نبت له مؤخراً فيحسب نفســـه طـــائراً، ويفكر فى ممارسة الحرية مبتعداً بأجنحة التخاذل عن بيته الـــدافئ .. غير مكترثٍ بالعواقب .. قط ..

يرفرف رفرفات مبتدئ .. فتضـــحك الطيـــور مـــن ســـخافته .. ويطأطئ الجبل رأسه خجلاً ..

يدور فى دوائر حول ذيله مستعرضاً مهاراته الجديدة أمام الإنـــاث .. تلتقطه إحداهن حين يسقط فى حجرها بيسر .. يخبرها أنها أنقـــذت حياته .. تضحك بجلجلة وهي تقول: "ده انت اللى وقعت لى مـــن السما" ..

يخلع عندها قلبه وأجنحته .. فتنقر رأسه بحدة .. فى البدايـــة يفـــزع لكنه لا يستطيع التفوه بالألم حتى .. فربما تكون تلك هـــي سمـــات الطيور وربما يكن ذلك هو حبهم .. وحين التفت تساءل: ولكن هل من سماتهم أيضاً امتلاء عش الأنثى بالذكور كما يري الآن حوله!!

هنا فقط تعلم الصياح.

هي .. وشطرها الآخر

بنصف ابتسامة استقبلتني كعادهّا - صديقتي الوحيدة - حين لاحظت تهلل وجهي .. أدخلتني غرفتها .. فهي تعلم أنني سأحكي بلا مواربة .. أخبرهّا بأنني اليوم قابلته .. تركت له يدي يقبلها آلاف المرات .. وضعها على قلبه .. على خده .. على شفتيه .. كنت خجلي لكنني في ضميري تمنيت ألا يعيدها لي ثانية وأن يبقيها معه .. بعدما نفدت حكاياتي عنه .. ابتلعت تلك الابتسامة التي حشرت رأسها بين فكيها .. نظرت لي بترفع مصطنع ثم لساعتها وقالت:

- أن صلاة العصر حانت ..

قامت لتتوضأ دون أن تدعوني للصلاة معها .. وكأنني لا أليق بقدسية صلاتها.. انصرفتُ نادمة على حكاياتي التي تجلب لي الحزن. وقفت أصلي العصر كجرذ محاصر .. في التشهد (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) أخفض صوتي فيها كي لا يحتسبها الملك الذي أحمله على كتفي الأيسر .. كذبة .. بعد الصلاة جعلت تسبيحي كله استغفار.

في المساء .. تركت نفسي للموت مؤقتاً .. فأنا أدرك أنها سوف تُحاسب .. أغلقت الغطاء على جسدي .. وذهبت عنده .. كان رابضاً عند قبر العذاب .. حين شعر بوجودي أصدر فحيحه وظل يرتفع لأعلى .. مهيباً مخيفاً .. ولكنني مستسلمة لعقابه ..

أحاول الدخول فيمنعني .. أنظر إليه في خزي قائلة:

– إننى آثمة اليوم.

أعاود المحاولة فيمنعنى من جديد قائلاً:

– إنه لها ..

يشير إلي قبر العذاب فأجد صديقتى الوحيدة فيه .. يتركنى ويزحف إليها .. والجحيم فى عينيه .. يعذبها فتصرخ مستغيثةً .. أهرول إليها .. أضرب أسوار القبر بكلتا يدىّ .. إنك مخطئ .. ليست هى .. أقسم لك لقد كانت فقط تستمع لى .. لكنه لا يلتفت .. يستمر فى تعذيبها ولا أستطيع الإنقاذ.

فى زيارتى الأخيرة لها .. سحبت يدي ورحلت للأبد .. عندما شاهدت آثار حروق على كفها الممدودة – دون حب – لتحيتى.

إلى آخر السطر

عندما أكون حزينة أرتدي ملابس "الباليرينا" التى أخفيها فى خــزانتي ثم أرسم سطوراً متساوية على صفحتى البيضــاء .. أصــلح عقــدة شعرى فتنبعث الموسيقى من الباب المفتوح أمامى نحوك .. وأبدأ فى الرقص المتوازي.

خطوةً .. فخطوتان .. فثلاثةٌ .. تظهر بعدهم مع السحاب الآتى من الجنة .. تؤدى رقصتك برشاقة أمامى .. تلف يديك حول خصــرى .. فندور على الأرض الخضراء للورقة .. دورةً .. فدورتين .. فثلاثةً .. تتساقط أزهار الربيع بمرح حوالينا .. تنظر فى عيني قائلاً:

– أنتِ جميلة.

تغفو أهدابي للحظة من الخجل وأقول:

– أنا سعيدة .. سعيدة ..

وعندما أفتحهما ولا أجدك فى الصفحة الممتلئــة .. أعــود فــأطبق أجفانى على بخار الصورة المتبقية فى رأسي كي لا تنقشع سعادتي من جديد ..

وأهوِى من فوق النقطة المتكورة فى آخر السطر.



أنثى بنكهة القهوة وطعم الشوكولاتة .. مدللة كقطة .. وبرية كمهرٍ جموح ..

وفتى لم يفعل شيئاً قط سوى أنه كان يحمل بيده زهرة من النــوع الذى تفضله ..

مشمراً قميصه المفتوح بعفوية .. مرَّ إلى جوارها تماماً كريح خريفي.. تركها متجردة بلا نكهة ولا طعم .. وحتماً بلا دلال ..

كل مافيها كان غاضباً .. وهى تفكر..

هل كان الأمر حقاً يستحق!!

ربما خطوة للخلف تحل الأزمة ويعود كل شيء إلي سابق عهــده .. فتعود الزهرة إلى الفتى .. وتتعلم الرياح أدب المرور بعدم الاصــطدام بالآخرين .. ويثوب الدلال إلى رشده ويرجع لها معتذراً .. وتغشاها النكهة ويتغمدها الطعم من جديد.

خطوة واحدة للخلف ستكون أمنيتها فى العام الجديد .. ولن تــتمنى أبداً أمنية العام السابق بأن تقابل فتى يحمل زهرة من النــوع الــذى تفضله فى وقت الخريف.

الفهرس

تعريف بالكاتبة

إيمان الزيات

قاصة وأديبة سكندرية ؛ لها بعض المحاولات النقدية .

حاصلة على بكالوريوس الخدمة الاجتماعية جامعة الإسكندرية.

المطبوعات /

مجموعة قصصية مشتركة بعنوان "فقط سويا " سنة1999

مجموعة قصصية مشتركة بعنوان "شغفيون" لسنة 2015

مجموعة قصصية مشتركة بعنوان"روائع القصص" 2016

المنشورات /

قصة "الشغف" بجريدة اخبار الأدب سنة 2013

قصة "الوزير الأسود" بمجلة قصر ثقافة الأنفوشى 2000

وبعض القصص فى مجلات اليكترونية .

- حاصلة على المركز الثالث بمسابقة وزارة الشباب والرياضة للقصة القصيرة على مستوى الجمهورية عام 2001.

فازت بقصة "مقعد فارغ للحبيبة " فى مسابقة "مؤسسة" شغف الثقافية.

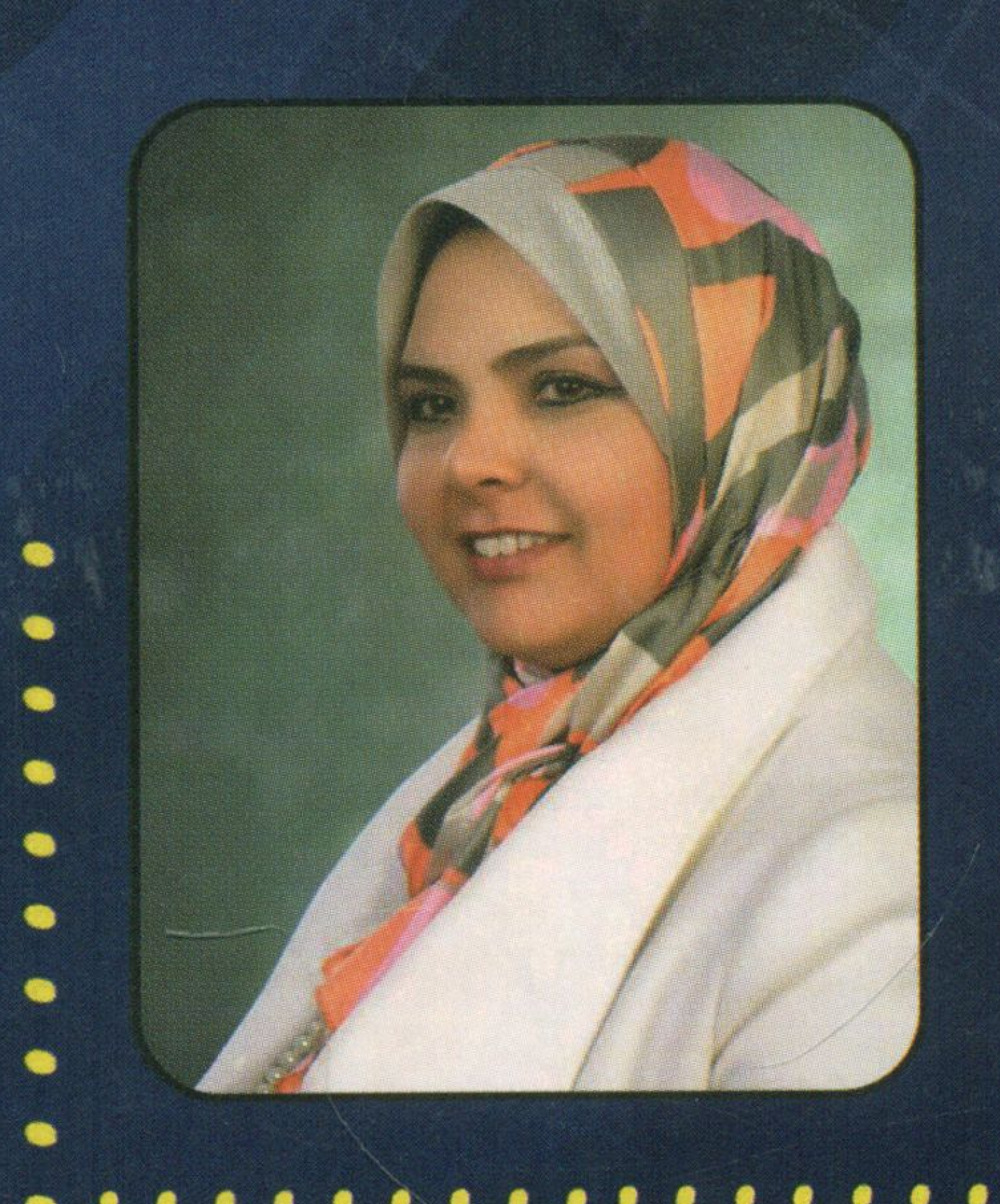
تحت الطبع /

- رواية قصيرة "كوستاريكا".

- ديوان شعر.



الإسكندرية ، ج . م . ع
01018831361
01022842898



أكاد أفقد الأمل في الوصول .. نباحه كقهقهات تتقافز حولى فى كل مكان لم أعد أستطيع تحديد مصدر الخطر .. تزجرني الأصوات .. تزج بي على حافة اليأس القصوى .. فأمد ذراعى نحو باب البيت فى محاولة أخيرة لتقصير المسافات بيننا .. يخيل إلّى أن باب البيت يشرئب لألمسه .. هل صرت أهلوس الآن؟!!



